قصة

إطمئنان

إشراف: فتحية مارس

تألبف: ضحى السعيدي

كانت تضمّ ركبتيها إلى جسدها،
وفي صوت مملوء بالسكينة والخشوع
كانت تقرأ سورة النور، وإذا بها قد
وصلت إلى الآية القريبة جدًّا من
قلبها

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ"
وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ
إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ
عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا
لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ
إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي
أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ
مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ
يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ
بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ
وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) النور/31".

إنتهت من قراءة تلك الآية، وسرعان ما أجهشت بالبكاء، لأن قلبها لم يستطع أن يتحمل معصية لأمر الله، وأيضًا لم تحتمل عدم قدرتها على اتباع الطريق الذي أرشدها إليه ذلك الشخص البعيد عنها والقريب منها، من خلال الرسائل المهترئة التي تكاد الحروف والكلمات فيها شبه مرسومة. وبدأت تتذكر كل ما حدث لها في العشرين سنة الماضية، وتتكلم مع نفسها أمام المرآة، تحاول أن تتخيل طريقة عيشهم سابقًا، مستحضرة لتلك الأيام الخالية: 'لقد كان لى ثلاثة أخوة، وكنت أنا الأخت الصغيرة بينهم. كان أحمد كبير العائلة، أما أيمن فكان أصغر منه بسنتين، وغيث كان يفوقني بسنتين تقريبًا. كنا عائلة متوسطة الدخل، يذهب إخوتي كعادتهم كل يوم للدراسة، يهتم أبي الذي يتولى توصيلهم إلى المدرسة، ثم يذهب إلى العمل. كان هذا الروتين اليومي بالنسبة لعائلة إبراهيم عبد الملك. وهو رجل متدين معروف بحسن خلقه مع الناس، وبحبه الشديد للقرآن وسعيه لحفظه والعمل به'

إلى أن حدث الابتلاء الذي لم يكن في مخيلة أي أحد منا فاجأنا جميعا... لقد كنت صغيرة آنذاك، كان عمري لا يزيد عن سنة أو أقل من ذلك. شُخِّص والدي في سنة 2003 بمرض خبيث هو "السرطان". وكان يوجد أنذاك نقص فى التجهيزات الطبية والمواصلات، اللذان كانا سبباً من بعد قدر الله وحكمته في وفاة أبي في الأول من ديسمبر، أول يوم في شهر رمضان، حسب ما روت لي أمي التي كانت شاهدة على وفاته وهو في أحضانها. ومن بعد ذلك الحدث المأساوي، صار العيش صعباً لعائلتنا نفسياً ومادياً، خاصةً بالنسبة لي، نور الهدى، إسمى الذى إختاره لى أبى، ولم أكن أعرف معنى هذا الاسم، ولم أحبه إلا حينما عرفت معناه

أفاقت من هذا الحديث الداخلي على صوت آذان الفجر، فقامت توضأت ثم أقامت في الصلاة، ودعت الله دعاء ذا النون: "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين". لم تكن ترجو من الله أنذاك سوى الهداية. كانت تدرس باكالوريا، هذه التجربة التي كانت محطة لارتياد الحلم. في تلك السنة منَّ الله عليها بلبس الحجاب الشرعي على أكمل وجه، بعد أن كانت بعيدة كل البعد عن طريق التوبة

وتلقت من صديقتها المقربة تشجيعاً على الدخول في هذا الطريق. ورغم ذلك، فإنه قد كان للناس المحيطين بها وأصدقائها من المعهد وحتى الذين لا تعرفهم رأي آخر. عندما ارتدت الحجاب الشرعي، شعرت نور بمزيج من الفخر والأسى. كان الحجاب رمزًا لنضجها وقوتها، لكنها لم تستطع منع نفسها من التفكير في والدها الذي رحل قبل أن يرى هذا التحول في حياتها. كانت تتمنى لو كان موجودًا ليريها ابتسامته الدافئة ودعمه لها في هذه اللحظة المميزة، عندما اشترته نظرت إلى مرآتها وشعرت بشوق كبير وعميق لحديث طويل معه عن القرارات الكبيرة التى ستتخذها. كان بإمكانه أن يمدحها ويعطيها الحنان اللازم، ولكن الآن لم يكن هناك أي شيء سوى صمت قاتم يحيط بها ودموع تنهمر من عينها حزنًا على غيابه وحاولت أن تتمالك نفسها وتتغلب على هذه الأفكار وتفكر فقط في الأشياء الإيجابية. لبست ثيابها واستعدت للخروج إلى المعهد، حينما وصلت، ذهبت مسرعة إلى صديقة قديمة لم ترها منذ فترة، وكانت تريد أن ترى ردود أفعال صديقاتها. تلامحتها من بعيد، وذهبت إليها لتحتضنها وسألتها: 'السلام عليكم، كيف حالك يا حبيبتي؟ لقد نسيت أخبارك بأنني قررت لبس الحجاب. حاولي أنت أيضًا أن تتقدمي لهذه الخطوة تدريجيًا.' قالتها نور بحب

ردت عليها تهاني في تعجب وذهول: 'مرحبا بك، أنا بخير. أنت التي؟ كيف حالك؟ ما بالك لبستي هذا القماش الأسود؟ لقد كنتِ أكثر جمالًا دونه.
بالنسبة لي، لا أظن أنني يمكن أن ألبسه في يوم من أيام حياتي. بصراحة، أريد أن أهتم بحياتي وأحقق حلمي كعارضة أزياء، وأريد أن أواكب عصر الموضة'
إنني أتفهم وجهة نظرك، لكن الحجاب بالنسبة لي' ليس قيدًا إنما هو حلم كنت أريد بلوغه منذ أن أدركت أنه واجب علي وعليك وعلى كل فتاة تريد إرضاء الله.' قالتها نور الهدى بكسرة قلب من ذاك الكلام الذى سمعته من صديقتها الملازمة لها فى جميع لحظات حياتها. لم تتوقع أنها ستتلقى هذا الرد المُنفر لتفكيرها.
مر العام الأول من الباكالوريا، وجاءت فترة الإعلان عن النتائج، لكنها للأسف لم تنجح في هذا الاختبار. فقد تسبب لباسها الفضفاض في ابتعاد جميع صديقاتها من المعهد عنها، والحال أن الإنسان في اجتيازه لهذه المرحلة يستحق الدعم والمساندة سواء النفسية أم العلمية. كانت خيبة أمل كبيرة بالنسبة لها، وفكرت في هل أنها لو لم تلبس الحجاب، هل كانت ستنجح؟

بدأ الوسواس يوسوس لها ويقول: 'أنتِ رسبتِ في الامتحان بسبب هذا الحجاب، لو لم تلبسيه لنجحتِ ووجدتِ العدد الكبير من المرافقين لك في هذه الرحلة ليوجهوكِ إلى طريق النجاح.' سرعان ما أطفأت هذه الأفكار السوداوية من دماغها واستغفرت الله

حينما دخلت عطلة الصيف، مرت باتئاب كاد يفتك بها، كل السبل باتت مغلقة في وجهها وبسبب أنها لم تبق لها من الأصدقاء إلا القليل النادر. بالإضافة إلى ذلك، كانت الأخت الوحيدة في المنزل ولم تكن بذلك القرب الكافي من أهلها ليستطيعوا إخراجها. ذلك كله كان سببا في تفكيرها فى الانتحار وأصبحت بعيدة عن الله

عندما شعرت أن يديها مكبلة، حتى إن وصلت إلى أن صلاتها لا تستطيع آداؤها. فكانت الملاذ الوحيد الذي تشعرها بالطمأنينة والراحة.

كانت تعاني من اكتئاب شديد لفترة طويلة، وتزايدت حدة الأعراض مع مرور الوقت. أدى ذلك إلى آلام في رأسها بشكل مستمر، مما جعلها تشعر بالإرهاق وعدم القدرة على التركيز. مع استمرار هذه الآلام وعدم تحسن حالتها، قررت في النهاية الذهاب إلى الطبيب للحصول على المساعدة اللازمة والتشخيص الدقيق. وصلت إلى العيادة الطبية وهي تشعر بالتوتر والقلق، جلست في قاعة الانتظار، محاولة تهدئة نفسها

أمامها، رأت أبًا وابنته يجلسان معًا، يتحدثان ويضحكان. كان الأب يعامل ابنته بلطف واهتمام، مما أثار فيها موجة من المشاعر المختلطة، كان رجلًا خمسينيًا وكانت الفتاة قرابة 18 سنة، كانت تظهر عليها علامات التعب الشديد مما جعل أباها قلقًا. فتراه مرة يذهب ليسأل السكرتيرة عن موعدها، وتارة أخرى تراه ماسكًا لرأسها ويتمتم، أظن أنه كان يقرأ لها بعض السور محاولًا التخفيف من وجعها. كانت نور تشاهدهما بدقة تريد أن تعرف كيف تكون العلاقة بين الابنة والأب، وكانا هما خير مثال. كان في بيده هذا الأب مسبحة إلكترونية لا تراه يضعها جانبًا، كانت صورة تستحق أن ترسم وتوضع في متحف الفنون. حتى أنه من رآهما ولو كانت أمه وأبوه موجودان، سيحنو إلى علاقة مثلها، فما بالك بنور الهدى التي لم تجد الحب الكافي لا من صديقاتها ولا أهلها ولا والدها الراحل عن روحها، شعرت بحزن عميق وافتقاد شديد لوالدها الذي لم يشاركها تلك اللحظات. كان ذلك يجعلها تشعر بفراغ كبير في قلبها، وتتمنى لو كان والدها موجودًا ليكون لها دعمًا في هذه اللحظة الصعبة ملابس هذه الفتاة جعلتها تفكر فى نصحها لأن تلبس الحجاب الشرعي، كانت تلبس بلوزة وسروالا وحجابًا يغطي شعرها، فكتبت نور لها في ورقة وقالت: 'استمتعي بكل الأوقات التي تعيشيها مع بوك

وافرحي بالي أنتِ راك في نعمة متنجميش
توصفيها شفتك مبكري تتوجعي وسخفتني ربي
يشيفك ان شاء الله. حبيبت نقولك تبارك الله
ماشاء الله، صحة ليك عندك أب، كيف يبدى عندك
ألم؟ تشاركيه معاه؟ ربي يفضلكم لبعضكم وربي
يخليهولك. سامحيني، ركزت معاكم، لكن شفت
قداش بوك مهتم بانو يغطيلك شعرك. فحاولى
كنصيحة من اختك، انك تفرحيه بلبسك للحجاب
الشرعي، اكيد مفمش بو ميحبش بتنو مستورة
على الأنظار السيئة. ف فرحيه بنعمة الستر
ومتترددیش، ولو لحظة صدقني نجم نشوف الفرحة
في عينوا من قبل م يسمع بقرارك الي اكيد صائب
جدا.احسبيها رسالة هاذي من ربي ليك، مرة اخرى
الله يحفظكم لبعضكم وان شاء الله تبقو لاخر العمر
مع بعضكم.ممكن مكش في حالة انك تعرفي شنوا
وشكون وعلاش، لكن اعرفي بالي بويا توفى من
الي ني قاعد عمري سنة هذا هوا السبب.كتبت
هذا الكلام وكان قلمها يكتب دموعاً وأحزنا.
كانت تنتظر الفرصة المناسبة لتكون هذه الفتاة.
وحدها وتعطيها الورقة. عندما همّت بالخروج
لحقتها نور الهدى وأعطتها الورقة بدون أن.
تنطق، بدون أن تتفوه بكلمة واحدة، وانتظرت
ردها. عندما شرعت في قراءتها بدت ملامحها
تتغير من فتاة كانت تعتصر ألمًا إلى شخص يريد أن
ينقص من المي. فهمت هذا كله من تعابير
وجهها. لم تقل لي شيئاً سوى:

مستحيل ننسى كلامك وبارك الله فيك على نصحيتك الطيبة. وتأكدي بالي ربي باش يعوضك بشيء يجبر خاطرك في يوم من الأيام. اعرفي بالي بوك فخور بيك وبالمرحلة الي انتي قاعدة تدخلي فيها." قالتها بحب واحتضنتني. وكان والدها واقفًا يسمع الحوار ولم يفهم شيئًا سوى أن والدها متوفيًا، فأخذ من جيبه ما وجده وأعطاه لنور، وذهبت رغبتها في الذهاب وإعادة المال له، لكن بدون جدوى، فبقيت في حرج من الموقف وأرادت أن تأتي بذاك المال وتعطيه لإخوتها لكي يساعدهم في توفير حاجياتهم اليومية.

بعد ذلك كله، دخلت إلى عيادة الطبيب وطمأنها الطبيب بأن سبب الوجع في رأسها هو فقط ضغط نفسي، ونصحها بأن تملأ أوقات فراغها بأن تمارس هواياتها أو تصنع لنفسها عادة يومية مثل ممارسة الرياضة لتساعدها على التغلب على هذا الاكتئاب.

بعد أن اجتازت الفتاة امتحانات الباكالوريا الأولى ولم تنجح، وبعد أن واجهت فترة من الاكتئاب والتحديات النفسية، قررت نور أن تستغل الفترة المتبقية من الصيف لاستكشاف اهتماماتها وقدراتها الأخرى. بدأت بالبحث أولاً عن فرص لتطوير مهاراتها الشخصية والفنية، وقراءة كتب في التنمية البشرية لفهم نفسها وتركيزها عليها وتطوير ثقتها في شخصيتها، ثم اشتركت في ورشات عمل متعددة أو ما يسمى بالتكوين لتملئ وقتها وتطور من مهاراتها في آن واحد

تدريجياً، بدأت الفتاة تستعيد ثقتها بنفسها ووجدت أن لديها الكثير من الإمكانات التي لم تكن تعرفها من قبل.بعد مرور الوقت وفي المحاولة الثانية لاجتياز امتحانات الباكالوريا، دخلت الفتاة الامتحانات بثقة أكبر وإصرار. كانت واثقة من جهودها ومن دعم عائلتها وأصدقائها، وقررت الاستعانة بأستاذة تعطي دروسًا خصوصية لمساعدتها في هذه المرحلة، ونجحت في تجاوز الامتحانات بنجاح كبير. عندما أُعلِنت النتائج، شعرت الفتاة بسعادة غامرة لتحقيق حلمها، فقررت متابعة دراستها الجامعية في تخصص الدين، وفاءً لذكرى والدها. وجدت في هذا التخصص شغفًا حقيقيًا، وتعمقت في دراستها للعلوم الدينية. وعندما تخرجت الفتاة من الجامعة بدرجة مميزة، زارت قبر والدها، شاكرةً له توجيهاته من خلال رسائله ودعمه المستمر حتى بعد وفاته. وقررت أن تعمل على نشر المعرفة الدينية والخير في مجتمعها، مستمدةً القوة والإلهام من إرث والدها.

قصة

إطمئنان

ضحى السعيدي

نور الهدى فتاة ملتزمة، تبدأ بخوض رحلتها في الحياة بعد أن فقدت والدها، رحلة قاسية بين ضرورة المحافظة على مبادئها والسعي خلف أحلامها في عالم يرفضها لأنها ملتزمة.
هي رحلة إلى الإطمئنان الذي فقدته، فهل تصل نور الهدى إلى الإطمئنان؟